

تربية الأبناء وتلقينهم أمور الدين

وإذا كان كذلك فإن هذا دليل على محبة الإنسان لأولاده وشفقته عليهم، وكونه يحرص على أن يكونوا قرة عين، وأن يكونوا ولدا صالحا. ذكر الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام لما أن الذين أخرجوه من الحب ظفروا به وجعلوه مملوكا، فباعوه في مصر { وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَبْعَثَا أَوْ تَخْذَهُ وِلْدًا } . رغب في اتخاذه ولدا، دل ذلك على أن الولد كان مرغوبا فيه، وأن كل أحد يحب أن يكون له ولد ينفعه ويخدمه ويقوم بحاجاته، هكذا ذكر الله عن صاحب مصر لما أعجبه خلق يوسف وأعجبه ذكاؤه؛ أوصى امرأته بأن تكرم منواه، وأن تحترمه. ثانيا- ذكر الله عن امرأة فرعون في قصة موسى كان موسى طفلا ترضعه أمه، ثم جعله في تابوت- صندوق- وتلقيه في البحر؛ خوفا عليه من آل فرعون؛ لأنهم كانوا يقتلون الذكور، ويستحيون الإناث. فقد مر مثلا أنهم ظفروا به، ظفروا به وهو في ذلك التابوت، ولما فتحوه وإذا هو طفل رضيع قد ترعرع، قد تم حولا أو نحوه، فجعل الله في قلب امرأة فرعون رقة عليه { وَقَالَتْ امْرَأَتُهُ فِرْعَوْنُ قُرَّةٌ عَيْنٌ لِي وَوَلَدٌ } تقول لفرعون { قُرَّةٌ عَيْنٌ لِي وَوَلَدٌ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَبْعَثَا أَوْ تَخْذَهُ وِلْدًا } هكذا ألقى الله في قلبها رقة عليه. وطلبت أن يكون قرة عين لها ولزوجها، وأن يتخذوه ولدا، وأنه يرجي أن ينفعهم { عَسَى أَنْ يَبْعَثَا أَوْ تَخْذَهُ وِلْدًا } . وإذا كان كذلك؛ فإن الأب عليه أن يحرص على أن يربي أولاده؛ رجاء أن ينفعوه، ورجاء أن يكون له قرة عين؛ ولذلك ذكر الله عن عباد الرحمن: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا } قال: { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَزُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ } دعوا الله تعالى أن يجعل من أزواجهم ومن ذريتهم قرة أعين؛ أي ما تقر به أعينهم؛ فإن الولد إذا كان صالحا فإنه يكون قرة عين لأبويه بحيث يصلح عند تربيتهم له، وكذلك ينفعهما ويخدمها ويبرهما في حياتهما وبعد مماتهما، وإذا كان كذلك، فنذكر بعض الأسباب التي يجب أن يفعلها أبو الأولاد؛ فأولا- التلقين في الصغر. إذا عقل وهو ابن سنتين أو ثلاث سنين، وصار يتكلم، ويسمع، ويعقل، تلقنه معرفة ربه؛ يا بني أو يا ابنتي؛ من ربك؟ قل: ربي الله. بما عرفت ربك؟ قل: بآياته ومخلوقاته. لأي شيء خلقك الله؟ قل: لعبادته، وهي توجيده وطاعته. ما أول شيء فرض الله عليك؟ قل: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. فإذا تلقن ذلك وهو طفل نشأ على ذلك؛ يا أبي، ما كيفية عبادة الله؟ ما مثال العبادة؟ ما دينك يا ابني يا ابنتي؟ قل: ديني الإسلام، ما هو الإسلام؟ قل: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة. من نبيك؟ قل: نبي محمد صلى الله عليه وسلم. فإنه إذا عرف ذلك وهو صغير؛ تربى على هذه العقيدة، وأحب أن يتوسع فيها. بعد ذلك إذا بلغ سبع سنين؛ فإن عليا أمره بالصلاة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: { مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر } إذا تم سبع سنين فإنك تأمره، فتعلمه الطهارة ونواقض الطهارة؛ وكذلك أيضا تعلمه الصلاة، وتأخذ بيده إذا كان ذكرا إلى المسجد، وتربيته على محبة المسجد، ومحبة الصلاة. ولعله بذلك يألفها إذا كبر ونهون عليه؛ وذلك لأنه إذا هان عليه عبادة الله تعالى بالصلاة؛ أحب الصلاة، وأحب بقية أركان الإسلام وألفها وأحب ذكر الله؛ فيكون ذلك سببا في صلاحه. وهكذا أيضا إذا كان هناك مثلا مدارس لتحفيظ القرآن، تحرص على تسجيل أبنائك وبناتك في هذه المدارس الخيرية؛ حتى ينشئوا على محبة القرآن، فإن هذا من أسباب صلاحهم، يحفظوا القرآن في صغرهم أو يحفظوا منه ما تيسر. كان ذلك عادة السلف والأئمة والعلماء. إذا تم سبع سنين أو ستا أدخلوه في الكتاتيب، وعلموه وأزموه وتفقدوه، وعاتبوه على التأخر وعلى الغياب، إلى أن يتربى على حفظ القرآن. يذكرون كثيرا من الأولاد يحفظ أحدهم القرآن وعمره ثمان سنين، يحفظه كله، وأكثر منهم يحفظونه عن ظهر قلب في عشر سنين، ما يتم عشر سنين إلا وقد حفظ القرآن، ويبتدئ بعد ذلك في حفظ السنة أو ما تيسر منها. لا شك أن ذلك كله دليل على أنه مما يتربى في صغره على محبة الخير. وثق أنك إذا ربيت على الصلاة، وعلى ذكر الله، وعلى قراءة القرآن؛ فإن ذلك يكون سببا في صلاحه، واستقامته. هذه من أسباب التربية الصالحة؛ مع أن الأسباب كثيرة. وضد ذلك أسباب العوابة، أسباب الفساد. يشاهد أن كثيرا من الأباء هداهم الله لا بهمهم أمر أولادهم؛ بحيث إنه يكفي أو يكتفي بإدخاله في المدارس ابتدائية أو ما بعدها، وبعد ذلك يتشغل بديناه، ولا يدري ما حال أولاده؛ بحيث إن أحدهم يذهب إلى عمله في الصباح، وإذا رجع وتناول غداءه نام، وإذا كان في أول الليل، أو في آخر النهار ذهب مع أصدقائه، وانشغل معهم إلى نصف الليل أو نحوه، فيجئ بعد ذلك ونام، ما يسأل عن أولاده، ولا عن صلاحهم، ولا عن رفقتهم، وهذا من الإهمال. أهمل أولاده؛ فلم يهتم بتربيتهم، ولا بإصلاحهم، لا شك أن ذلك تقريبا. كذلك أيضا ربما يسعى في إفسادهم؛ وذلك بما يحضر لهم من آلات الملاهي، إذا رغب الأولاد لسفهمهم، وقالوا: نريد أن نتمتع برؤية الأفلام التي تتسلى بها، أو برؤية المجلات التي نقرأ فيها ما يفرحنا ويفرحنا؛ فيحضر لهم أفلاما خلية، وصورا هابطة ومجلات فاسدة. وكذلك أيضا قد يدخل في بيته أجهزة استقبال القنوات الفضائية؛ الدشوش وما أشبهها، فما فائدته؟ لا شك أنه لا فائدة فيها؛ بل إن فيها مضرة، وإن فيها آفات كبيرة؛ بحيث إنهم يستمعون فيها إلى الأغاني وما أشبهها، وينظرون فيها إلى الصور الفاتنة التي تفسد عقولهم، وتدفعهم إلى اقتراح الفواحش، وإلى فعل الزنا ومقدماته؛ حتى كثيرا ما يذكرون أن الشباب يقع أحدهم على محارمه يزني بأخته، أو بنت أخيه أو نحو ذلك؛ فيكون السبب كونه يشاهد تلك الصور الفاتنة التي فيها إبداء العورات، وفيها ضم الرجل إلى المرأة، وفيها وطؤه للمرأة ونحوها. يشاهد الرجل فوق المرأة، أو الرجل فوق الرجل، أو ما أشبه ذلك. لا شك أن هذا كله مما يوقعهم في الفساد، هذا من جهة. جهة ثانية إهمالهم حتى يتولاهم من يفسدهم. لا شك أن هناك شبابا قد فسدوا بإهمال آبائهم لهم، فإذا اجتمع بهم ولدك فلا بد أنهم يسعون في فساد، ويوقعونه فيما وقعوا فيه، يحبون أن يكون مثلهم. كما ذكروا ذلك عن بعض الثعالب، يقولون مثلا: مثل أجزم الثعالب. يحبو أن يكونوا مثله. ثعلب وقع في حباله مسكت ذنبه، انقطع ذنبه في هذه الشبكة أو الحباله، فلما خالف الثعالب وإذا هي كلها ليست مثله، فأشار عليها، وقال: إن هذا الذنب لا يفيدكم؛ ولكنه ضرر، فمكنوني من أن أقطعها، يريد أن يكونوا مثله، فأخذ يقطع أذنان تلك الثعالب كلها. فيضربون هذا مثلا أن من وقع في شر؛ فإنه يحب أن يكثر الذين يفعون في ذلك الشر وذلك الفساد مثله، فيقولون: مثله كمثل أجزم الثعالب. فإذا كان بعضهم ابتلي مثلا بشرب الدخان، أو رأى أن يكثر المدخنون، فيدعو ولدك، وولد فلان وفلان إلى أن يفعلوا كفعله؛ حتى يفعوا في شبكة الدخان، وإذا كان قد وقع في فاحشة اللواط حرص على أن يكثر الذين مثله، فيدعون فيما وقع فيه، وإذا كان قد ابتلي بتعاطي المخدرات، حرص على أن يوقع فيها هذا وهذا، فبذلك يكثر الفساد. طريقة التخلص: أن تتفقد أصحاب ولدك وجلساءه. يا ولدي، من رفاقك ومن جلسائك؟ ومن أصحابك الذين تذهب معهم، أو تسهر معهم، أو تتسافر معهم؟ فإذا كانوا من حملة القرآن، ومن الأولاد الصالحين؛ شجعتهم على ذلك. وإذا كانوا من الفاسدين والمنحرفين زجرته عن صحبتهم، وأدبته على مقارنتهم وبينت له سوء مقارنته من فسد، فإن المرء على دين خليله. جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: { المرء على دين خليله؛ فلينظر أحداكم من يخالل } خليله؛ يعني جلسه، وصديقه، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: { لا تصحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي } ؛ أي لا تصاحب إلا الأتقياء، ولا تقرب إلا أهل التقى، وأهل الإيمان وأهل الصلاح. ويقول: { مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك وناقح الكبر، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن يعطيك، وإما أن يتباع منه وإما أن تجد منه رائحة طيبة. وناقح الكبر إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه رائحة خبيثة } لا شك أن هذا مثل رائع، أخبر صلى الله عليه وسلم بأن المجلس السوء يفسد جلسه، يحرقه، يفسد عقيدته، يفسد خلقه. وقد جاءت الأدلة من القرآن في النهي عن الجلوس السوء، وعن مقارنتهم، والأمر بالجلوس الصالحين، قال الله تعالى: { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } أي الصالحين والمؤمنين والمتقين لا تطردهم عن مجالستك؛ لأنهم يجالسونك ولأنهم يجيئون الفاتنة، ويحبون التعلم. وفي آية أخرى قال تعالى: { وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } . يعني اصبر نفسك معهم مع الجلوس الذين يذكرونك إذا نسيت، ويعلمونك إذا جهلت، ويشجعونك إذا تكاسلت، ويأمرونك بما فيه صلاحك. فهكذا أولادك، إذا كان جلساؤهم صالحين؛ استفادوا من هذه المجالسة أفضل الفوائد. ثم قد ذكر الله تعالى الجلوس السوء فقال تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ } . يعني إذا رأيت أهل مجلس يتكلمون بالسوء، وبخوضون في آيات الله، ويستهنئون بالدين، ويستهنئون بالمصلين والمتدينين؛ { فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ } إذا أساءك الشيطان وجلست معهم، ثم انتهت وعرفت أنهم جلساء سوء فقم عنهم وابتعد عنهم؛ ولذلك قال: { وَإِمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعْتَدْ بِعَدِّ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } إذا تذكرت وعرفت أنهم فاسدون، فبعد تذكرت ابتعد عنهم، قم عنهم ولا تعد تجلس معهم. ويقول الله في آية أخرى: { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ } إذا رأيت جلوسا فاسدين، مجالسهم في الاستهزاء بالمصلين، أو بالمتقين، أو بالمتدينين والمتعقيين، أو بالذين يدعون إلى الله، أو بالذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وجلست معهم؛ فإنك مثلهم، { إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ } أو وعيد شديد؛ يعني مثلهم في الإثم. فهذه أدلة تدل على التحذير من جلوس السوء، فتفقد جلوس ولدك، وأنهو جدره عن مجالسة من يفسد عليه دينه، أو يوقعه في خذل أو يوقعه في فساد؛ حتى تريح ولدك؛ حتى يكون ولدا صالحا؛ وإلا فإنه سيكون فاسدا، وسيكون ولد سوء لأبويه؛ بحيث إنه إذا كبر أنكى على أبويه، أنكى عليهم ما هم يأمران به. فينكر عليهم ذكر الله تعالى وقراءة القرآن، وينكر عليهم تطهير بيوتهم من آلات الملاهي، ويحرص على أن يجلب إلى البيت السفهاء وجلوس السوء، ويحرص على أن يملا البيت آلات فساد وصورا ومجلات خلية، ونحو ذلك؛ فيفسد ويفسد بقية إخوته، وبقية أخواته، والذنب ذنب أبيه؛ حيث لم يربه في أول الأمر تربية صالحة. هذا مختصر فيما يتعلق بتربية الأولاد.